هم الغيوث إذا ما أزمة أزمتْ والأُسدُ أُسْدُ الشرى والبأْسُ محتدمُ

فجعل حبهم من الإيمان وبغضهم من الكفر ، وفى القرب منهم نجاة والبعد عنهم هلاك ، فهم أئمة أهل التقى وخير أهل الأرض قاطبة ، لا يلحق بهم جواد ولا يدانيهم قوم ، فهم السحاب فى النجدة والكرم ، وهم الأسود فى البأس والشدة ، وليس بعد هذا مطمع لمادح فى آل البيت .

وعاش دعبل فى عهد الرشيد فمدح آل البيت ، وعجب كذلك لقتل الأحرار من بنى هاشم ، وعاب على العباسيين أن يعاملوا العرب كما عاملوا الروم والخزر ، فقال :

قَتْلٌ وَأَسْرٌ وتحريقٌ ومَنْهَبَةٌ فعل الغزاة بأَرض الرُّومِ والخَزَر
أرى أُميّــة معذورين إن قتلوا ولا أرى لبنى العباس من عُذُر

فإن كان من عذر لبنى أمية فليس ثمة عذر لبنى العباس . ورسم دعبل مقتل الحسين كما وصف غيره ، وعدّد فواجع أهل البيت ، وصوّر مدارسهم قد خلت من التلاوة ، ومنازل وحيهم أصبحت مقفرة العرصات :

مَدَارِسُ آياتٍ خَلَتْ من تلاوة ومنزل وحى مقفر العَرَصاتِ

وهو يعدّد هذه المنازل ويذكر هذه القبور فيعرض لمرابع العزّ ومواطن الألم والفجيعة ، ويبكى ويستبكى ، ثم يعود إلى أهل البيت ليظهر حبه وغرامه بهم :

مَلَامَكَ فى أهل النبىّ فإنهم أحبّايَ ما عاشوا وأهل ثقاتى
بنفسىَ أنتم من كهول وفتية لفكّ عناة أو لحمل دياتِ

ويمدحهم كما مدح الجاهليون رجالاتهم فيرى فيهم فك العناة وحمل الديات ، وأظهر حبهم فى عهد يُعاقب فيه المحبّ ويكافأ الشانئ .